ولي الأمر المفقود

ولي امر مصطلح له دلالاته الشرعية الواضحة ، استخدمه أعداء الدين والطغاة والظلمة من جهة ،ومسوقوهم من مشايخ الأمة الجهلة والمرتزقة والمنافقة من جهة أخرى ،فاستخدمه مثلاً نابليون في مصر ونصّب نفسه ولياً لأمر المسلمين عليهم ورضوا به وصدَّقوه،وساقت فرنسا في القرن الماضي الجهلة من المسلمين المغاربة والسنغال وغيرهم لغزو بلاد المسلمين تحت عنوان طاعة ولي الأمر ونجحوا ، ودافع الشيخ البوطي ومن لف لفته في سوريا ووقفوا داعمين لسفاحَيّ سوريا الأب وابنه البعثيان النُصَيريان على أنهما وليّا أمر المسلمين وصدقت ثلة من الشعب السوري ودافعوا عنهما ،واستُخدم هذا المفهوم الشرعي لتنويم المسلمين والاطمئنان على سباتهم العميق ، ولتحقيق استسلامهم للظلم والذل والعبودية ،فيتركوا حاكمهم الذي اعتبروه ولي أمرهم يشرع ويقضي كما يريد ويعبث بمقدرات الأمة كما يشاء، ويقتل ويسجن ويشرد ،وما من قول لا لمعترضٍ أومحذرٍأو آمرٍ بمعروف أو ناهٍ عن منكر.

فمن هو ولي الأمر المطاع إذاً ؟

أ – ولي أمر المسلمين هو الحاكم المسلم الذي اختاره الشعب المسلم طوعاً ، وبايعه هذا الشعب على ولاية أمره ، وأن يحكمه وفق شرع الله وهدي نبيه .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداءً اختاره أهل المدينة بعد أن عرض نفسه على القبائل في مكة وهو يقول :

ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام) ربي) فبايعه في العقبة الثانية إثنان وسبعون فرداً من أهل المدينة على نصرته وتأييده وأن يمنعوه مما يمنعون أموالهم وأعراضهم ثم دعوه إلى أرضهم ، فجاءهم مهاجراً برغبةٍ منهم وليس عنوة ، ثم اختاروه قائدهم في كل شيء ، بعد أن آمنوا به نبياً ورسولاً، كما بويع أبو بكرٍ في سقيفة بني ساعدة من الأنصار والمهاجرين على خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم ، واختار أبو بكر بعده عمراً رضي الله عنهما خليفة للمسلمين وأخذ عمر البيعة بعدها من المسلمين ، ثم إختار عمر ستةً من كبار الصحابة ليختاروا أحدهم خليفةً بعده بعد أن طعنه أبو لؤلؤه المجوسي وهو في الصلاة، فاختاروا عثمان بن عفان وأخذ البيعة بعدها منهم ومن المسلمين ، ثم قتل عثمان واختار المسلمون علياً في أرض الحجاز ، كما اختار المسلمون معاويةً في أرض الشام ، وحدث الخلاف بين المسلمين على أحقية

الخلافة ، واقتتلوا في وقعة الجمل ، وبعدها في صفْين ، وآل الأمر إلى معاوية ، ثم أصبح الحكم وراثياً وليس اختياراً

فلم يتولى إذاً رسول الله (ص) رغم أنه رسول يوحى إليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده إلى الحكم إلا ببيعه وموافقه شعبيه على الطريقة المتيسرة في زمانهم هكذا اقتضت حكمة الله

فطريقة الوصول إلى الحكم وتداول السلطة وشكل الحكم لم يحدده الاسلام بنصٍ شرعي ، إلا أن القرآن حدد أسساً عامةً وقواعد رئيسية في السياسة أهمها : ١-- الشورى :

وأمرهم شورى بينهم " " وشاورهم في الأمر " فالشورى وسيلة " لإختيار الرأي والشخص وتُجسّدها اليوم إنتخابات حرة، وترجيح رأي الغالبية في الأمور السياسية التي ليس فيها نص صحيح صريح.

٢--" **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ..... "**

"... إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "

فالحكم بما أنزل الله أصل لولي الأمر وللمسلمين كافة.

"..... ٣-- " ولقد كرمنا بني آدم

فالإنسان المُكرّم الذي سجدت له الملائكه وسُخر له الكون كله هو محور حركة هذا الدين.

٤-- " وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .... "

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ... "

ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى ..... "

فإقامة العدل وعدم الظلم وإدخال العواطف في أي حكم مطلب رباني لا مناص منه .

٥-- " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد .."

فإقامة القسط بين الناس غاية كل الرسالات ، والحديد في الآية رمز للقوة لقطع الطريق على ضعاف النفوس، وعلى الذين أعلنوا الحرب على الله والرسوله والمؤمنين.

٦--" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "

فالبر والقسط سمة عامة للتعامل مع كل المخالفين المسالمين أياً كانت مذاهبهم وأديانهم وانتماءاتهم

وتُرِكَ شكلُ الحكمِ ليختاره الناس بالطريقة التي تخدم مصالحهم ، وتحقق العدل والقسط بينهم

وإن الحاكم الذي يصل الآن إلى الحكم بقوة السلاح أو بالتوريث يستخف بالناس ويهدر كرامتهم وينافي ما أكده القرآن وحث عليه من إقامة العدل والقسط والشورى بين الناس ، وعلى الأخص عندما يبيح لنفسه الاستمرار بحكمه إلى الأبد بانتخاباتٍ صوريةٍ مسبقة النتائج القسرية، والتي يصوّت فيها نسبة لا تتجاوز 10 % من الشعب تقريباً ، لعلم غالبية الشعب أنها مسرحية انتخابية مفبركة ، وبالتالي فما يسمى ولاة أمر المسلمين اليوم هم ولاة غير شرعيين ، لم يختارهم غالبية الشعب ولم يبايعهم ولا طاعة لهم على شعوبهم

وقد أكد الواقع في أوروبا بعد حروبٍ طاحنةٍ واقتتالٍ طويلٍ مريرٍ بينهم ، أن مصلحة الناس بشكل عام ومصلحة شعوبهم تكون باختيار الشعب لحاكمه بانتخابات صادقة حقيقية ، والحكم لمدة محدودة منصوصٍ عليها في دستورهم ، ثم يتم بعد ذلك تداول السلطة، وفصل السلطات الثلاث ، وسلطة القانون، وتكافؤ الفرص ، والسماح بالمعارضة لرصد الإنحراف عن مصلحة الأمة، وتصويب مسار الحاكم لتتحقق مصالح الشعوب ، كل ذلك أساسيات لتحقيق العدل والحرية والكرامة للإنسان والإستقرار للشعوب

وعليه فالنصوص الشرعية التي تدعو إلى إقامة العدل والقسط والشورى أولاً ، والواقع السياسي الإيجابي الذي مرّ به الغرب ثانياً ، دلّا معاً أن لا طاعة لولي أمرٍ ولو كان مسلماً لم يختاره غالبية الشعب، ولم يبايعه ولم يعدل ولم يعطِ الحريات، بل لم يكن خادماً للشعب لا سيداً عليه، لأن الولاية هي مسؤولية وأمانة، ومغرماً وليست مغنماً

ولا عبرة في بعض الفتاوى السابقة التي عالجت واقعاً كان قائماً ، بأن الذي يصل إلى الحكم عنوةً ويعدل في أمته يُطاع ، فهذا كان لزمانهم ، لكنّ تطور الأمم أوصلنا إلى نتيجةٍ أخرى تتحقق معها مصلحة الناس والشعوب، بأن الحاكم يجب أن يُنتخب ، ويحكم إلى أجل محدود متفق عليه ، وأن وصوله إلى الحكم عنوةً ظلم وقهر، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (أطعه وإن جلد ظهرك وأخذ مالك) نعم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا للحاكم الذي اخترته أنا وبايعته لكني وقعت بمخالفةٍ أدت إلى معاقبتي بالجلد ودفع غرامة مالية فيجب ألا يمنعني تصرفه هذا معي ألّا أطيعه، لأن مصلحة الأمة أكبر من مصلحتي ، ولكن أين هو هذا الحاكم الذي اخترته وبايعته وعدل فيَّ وفي أمته وعاقبني على مخالفةٍ وقعت فيها بالجلد وبدفع مبلغ من المال حتى أصبر عليه وأفضل المصلحة العامة على مصلحتي الشخصية فأطيعه ولو جلد ظهري وأكل مالي

ب– ولي أمر المسلمين هو منهم"**....وأولي الأمر منكم...**" يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويؤمن أن القرآن كتاب الله أنزله ليُحكم بأمره في كل شؤون الحياة ، ويقيم الصلاة ويأمر بالزكاة ويهتم بأمر المسلمين ويؤيدهم ويناصرهم ويدافع عنهم فمصلحته مصلحتهم ، ويُغلّب طاعة الله ورسوله على أية طاعة ، ولا يقول ولا يعتقد ولا يأمر بمعصيةٍ أو مخالفة لأمر الله ورسوله .

" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم "

" إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون "

" وأنزلنا إليكم الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما "

" ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نار جهنم خالداً فيها وله عذاب مهين "

" إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين "

" الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ...."

فقولوا لي بالله عليكم أي حاكم للعرب أوللمسلمين يحقق هذه الصفات حتى يكون مسلماً ثم ولياً لأمرهم ، ولا عبرة بالنطق بالشهادتين لاعتباره مسلماً ، لأن ما بعدهما من عملٍ أو قولٍ يصدقهما أو يكذبهما، " يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ..." " وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما يكتمون " والكفر في الإسلام ليس كفراً اعتقادياً فحسب بل هناك كفر قولي وكفر عملي ، فالذي يسبُ ويتحدى ويستهزىء بالله سبحانه ، والذي يسجد لغير الله بدون إكراه، والذي يسمح بأن يقول الناس من شعبه لا إله إلا هو ولا يتمعّر وجهه هو ومن أيَّده ولا يؤدّب ولا يعاقب ، والذي يسمح بالزنى والخمور ويقنون إنتشارهما ،والذي يَسْخر من الحجاب ويدعو ويخطط لنزعه ، والذي ينهب مال المسلمين ويكدسها بالبنوك الخارجية ولا يوظفها في خدمة بلده بل يسخرها لمحاربة المسلمين وخدمة أعداء المسلمين ، والذي يعتدي على المسلمين ويقتلهم ويسجنهم ويشردهم ويستبيح نساءهم ، والذي يتولى الكافرين ويتحالف معهم ضد المسلمين ، والذي يحكم بغير ما أنزل الله ولا يبالي أصلاً بأن يحكم بما أنزل الله ، هذا إذا ما اعتبر الحكم بما أنزل الله تخلفاً ورجعية، والذي يوالي الكافرين والمشركين والمنافقين واليهود والنصارى ، والذي وجوده في الحكم مرهون بموافقة ودعم إسرائيل وشرقٍ أو غرب لأنهم أولياؤه ، لا ِمن اختيار وتأييد شعبه وموالاة المؤمنين ، وغير

ذلك من مظاهر الكفر العملي والقولي التي تجعلهم شاهدين على أنفسهم بالكفر " وما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبذت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون " فكيف يطاع هذا المفسد والله سبحانه يأمرنا بمخالفته :

" ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون "

ولم أتحدث عن الكفر الاعتفادي ، لاعتراض بعض الناس بقولهم هلا شققت على قلبه ، نعم صحيح لم أشقّ على قلبه لكنّ أقواله وأعماله هي التي شهدت على كفره كما قال تعالى .

" ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون "

نعم لم أبحث في معتقده لكني أعلم أن بعض حكام المسلمين تولوا اليهود والنصارى والكافرين فأصبحوا منهم والله سبحانه ينهانا ويقول " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين " وبعضهم كانوا هم وبطانتهم من فرقٍ ضالة ، ومعتقداتٍ فاسدة ، تُؤلّه الرجال ، وتعبد القبور وتسجد وتحج إليها ،وتعتقد أنّ لله ناسوت ولاهوت ،وأن هناك وحياً بعد رسول الله، وأن القرآن ناقص و محرّف، وأن له معنى ظاهر ومعنى باطن

وأن المعنى الباطن هو المعتمد عندهم،وأن هناك أوصياء على كتاب الله هم الذين يحددون المعنى المراد من آياته وليس ألفاظ النص وبيان رسول الله(ص) عنه، وأن القرآن نزل ليتحدث كما يزعمون واهمين عن فريقين : فريقهم ومن تبعهم حيث وصفهم وأثنى عليهم بزعمهم بأنهم المؤمنون والمسلمون والصادقون والمحسنون والمتقون وكل الصفات الايجابية التي ذكرها القرآن فهي بحقهم وحدهم ، والفريق الاخر فهم أعداؤهم من الكافرين والفاسقين والظالمين والمنافقين والضالين والمفسدين.... وهؤلاء كما يعتقدون كاذبين هم أبو بكر وعمر وعثمان ومن تبعهم فتباً لاعتقادهم وسحقاً ، لذلك يلعنون الصحابة الذين جمعوا القرآن ونقلوا لنا هذا الدين، وينسبون إلى بعض نساء النبي الزنى والفحش،فماذا سأقول فيهم غير الكفر البواح ، بل القرآن هو الذي يُكفر مَن يغتاظ مِن الصحابة فكيف من يلعنهم :

" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار...."

وقد ذكر ذلك الإمام مالك عندما ذُكِر له أنّ رجلاً ينتقصُ مِن أصحاب رسول الله فقرأ الآية وقال : مَن أصبح مِن الناس في قلبه غيظٌ على أحدٍ من أصحاب رسول الله (ص) فقد أصابته هذه الآيه. وأما رسول الله فقد قال : (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثلَ أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولانصيفه)

أعود وأقول : ليس كل من يحكمني ولي أمري بالمعنى الشرعي، لقد كنا مُستعمَرين وكان المستعمر يجرّ الجنود المسلمين جهلاً منهم ليحاربوا معه المسلمين تحت عنوان أنه هو ولي أمرهم ، فهل هو كذلك ؟ وعندما خرج المستعمر من بلادنا بالصورة لا بالحقيقة ترك في بلادنا من بني جلدتنا -- بعد أن اختارهم بعناية فائقةٍ --ترك مَن يحكمنا ، ليكون وكيل وأجير المستعمر في بلادنا ، فظلم وقتل وسجن وسرق وخرّب وعاث فساداً وأجهض كل محاولةٍ من المخلصين في الأمة للبناء والتقديم والعطاء لوطنهم ،وخطط وساهم في تجهيل أجيال الأمة بتعمية الحقيقة عنهم، وفي عدم وعيهم قضاياهم الحيوية إلا ما يوحيه إليهم من تلفيق وكذب ، ثُمّ وجّه طاقاتهم نحو السراب والتناحر والاقتتال ونحو طعن أنفسهم بأنفسهم ، عوضاً أن يوجهها نحو العلم والبحث والبناء والوعي والمعرفة، فهل هذا يستحق أن يكون ولي أمرنا ؟ أم هو العدو اللدود لله ورسوله وللأمة والمسلمين.

إن رسول صلى الله عليه وسلم لما أكد على طاعة ولي الأمر أو الحاكم المسلم فهذه الألف واللام في لفظ ولي الأمر ، أو في لفظ الحاكم المسلم ، ليست ألف استغراق الجنس ، كقوله تعالى مثلاً

إن الإنسان لفي خسر " فالألف واللام في كلمة الإنسان هنا هي " لاستغراق الجنس وتعني كل إنسان خاسرٍ إلا ..... .أما الألف واللام في كلمة ولي الأمر فهي ليست لاستغراق الجنس بل هي اللام

العهدية كقولنا جاء الأستاذ فَعَلِمَ من يسمع أن أستاذاً معيناً هو الذي جاء وليس أي أستاذ، بل الأستاذ المعهود في أذهاننا، فطَلَبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم منا طاعة ولي الأمر، عنى بها اللام العهدية وليست لام استغراق الجنس، أي ليس كل ولي أمر بل ولي الأمر الذي عهده رسول الله(ص) وعهدناه معه محباً ومطيعاً لله ورسوله ، مؤمناً بالكتاب كله وحاكماً به وليس حاكماً بنظام بشري بديلا عن شرع الله، يعمل من أجل المسلمين وسعادتهم وارتقائهم ونصرتهم وليس وكيل أعداء الإسلام وحامي مصالحهم ، وليّه الله ورسوله والمؤمنون وليس الكافرين والمنافقين واليهود والنصارى ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ولا يمنع الصلاة في معسكرات الجيش والمدارس والجامعات والدوائر الحكومية ، يعمل لنشر هذا الإسلام وليس لنشر الفساد والخلاعة والمبادئ الهدامة، نعم هذه اللام العهدية الذي عهدها إلينا رسول الله عن ولي الامر ، فأين هو اليوم بهذه المواصفات حتى نطيعه .

ج – ولاة الأمر بالآيات و الأحاديث التي تحدثت عنهم ليسوا العلماء إن وجدوا، ولا المشايخ ، وعلى الأخص أننا لا نعلم مشايخ اليوم إلا منافقين أو مشايخ سلطة إلا من رحم ربك ، وكذلك ليسوا زعماء الأحزاب والتنظيمات الإسلامية كما يظن البعض، لأن ولي الأمر في المفهوم الشرعي هو الحاكم المسلم الذي يحكم وفق أمر الله ورسوله شعباً ما ، وقد اختاره شعبه ولم يُفرض عليه ، على أرضٍ له سيادةٍ عليها، وهو المسؤول عن كل ما يلزم شعبه

من حرية وأمن ومأكل ومشرب وتعلم وغيرها ، يقيم العهود والسلام والحروب ويدير السياسة الداخلية والخارجية بما يناسب مصلحة شعبه وضمن شرع الله . وهذه المهمات ليست منوطة بالعالم ، وبالتالي طاعة ولي الأمر في قوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " وفي قوله سبحانه " ....

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ..... "

ليست للعلماء وإنما هي للحاكم المسلم الذي يعلم أمور الأمن والخوف للأمة المسلمة ، وأما العلماء فمهمتهم كما ذكرنا هي مهمة الأنبياء نقل الحق كما جاء من عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ،لا يخافون في الله لومة لائم ، وليس لهم أي سلطةٍ على الناس، ولهم المحبة والإحترام والتوقير إن هم قاموا بمهمة التبليغ كما أمروا ، فلا كرامة للخطأ ، وهم يُسألون ويُجيبون إن كانوا يعلمون، لكن بدون وصايةٍ على العقول ، وبدون تقليد، وكل إنسان مسؤول عن نفسه وعن الرأي الذي يختاره أمام الله ثم أمام الناس.

علماً أن هناك طاعات أمر بها الشرع غير طاعة ولي الأمر ولكن لم تكن للشيخ أو العالم وما كان ربك نسياً ، كطاعة الوالدين وهي

قربى واجبة على الابناء إلى الله عز وجل " وإن جاهداك على أن تشرك بي فلا تطعهما ..." وطاعة أمير السفر لقول رسول الله (ص) : (إذا كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم أحدكم) وطاعته محدودة بحدود السفر ، ولا أعلم نصاً صحيحاً يوجب طاعة العالم أو الشيخ ، ودَعك من عبارات التصوف التي تعبر عن التخلف وسلخ إنسانية الانسان كقولهم : أغلق عقلك واتبعني ،ومن لا يشيخ له فشيخه الشيطان ، وإن كنت معنا فاتبعنا ولا تسل عن ذي المعنى ، ومن قلّد عالماً لقي الله سالماً وغيرها من عبارات المسخ والقزمية والغنمية وليست من الإسلام في شيء

د – وهذه الطاعة لولي الأمر ليست مطلقة بل يمكن ردها، وواجب النصح لولي الامر أو الوقوف في وجهه أو الخروج عليه ، أي الطاعة إذاً :

1 – مشروطة : لأنه لا طاعة في معصية كما قال رسول الله (ص):

(لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف)

(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره إلا أن يأمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

وهذا يستدعي ضمناً عِلمُ الأمة ووعيها بما هو موافق أو مخالف لأمر الله ورسوله، ومعرفة ما هو طاعة لله ورسوله وما هو معصية، وهذا ما لا يرضى عنه الحكام المستبدون وبعض رجال الدين، بدعوى عدم المعرفة بالأمور السياسية وكذلك بالأمور الدينية ، وعدم المعرفة هذه خططوا لها ورسخوها في عقول الأمة عن طريق سياسة التجهيل والتعتيم والتلفيق وسياسة التقليد، وإن الشعوب المسلمة التي تريد أن تقف على قدميها وتستعيد دورها الريادي وتكون فاعلةً في الواقع وتؤدي مهمتها المناطة بها في إعمار الأرض وفق منهج الله سبحانه، لا بد لها من الإصرار على العلم والمعرفة والوعي وإدراك مقتضى النصوص ودلالات الواقع لإسقاط واستئصال الاستبداد السياسي والديني اللذان يصران على تجهيل تلك الشعوب واستلاب الحقيقة، وعلى التعتيم والتلفيق والفبركة الأمر الذي يضمن بقاءهما واستمرار سلطتهما.

2 – والطاعة لا تنفي ولاتلغي قول الحق والوقوف في وجه الحاكم بالكلمة القوية الناقدة والتي اعتبرها رسول الله (ص) من أعظم الجهاد .

(إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)

سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره فنهاه) فقتله (

وإن الأمة التي لا يوجد فيها من يقول الحق للظالم هي أمة لا تستحق الحياة بل هي امة تستحق الإستعباد والإستعمار والذل والهوان كما قال رسول الله (ص) : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وهذا العقاب من أشكاله الاستعباد والاستعمار ، والمشكلة عند ذلك ليس من الظالم وإنما من المظلوم والمستوى الهابط الذي وصلته نفوس المظلومين بقبولها الظلم واستمرائها له وعدم الوقوف في وجهه.

3 – و الطاعة لا تعطل النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحاكم والعالم ولكل الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدين النصيحة قلنا لمن قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين) (وعامتهم

بايعت رسول الله على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاء والنصح لكل) (مسلم

من رأى منكم منكراً فليغيره بيد ه فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم) يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). فأضعف الإيمان الإنكار بالقلب ومن لم ينكر بقلبه وهو أقل المواقف فليس بقلبه إيماناً كما قلنا سابقاً، وإنه لمأساة حقيقية لأمةٍ يأخذ معظم أفرادها بأضعف الإيمان ولا يوجد فيها من يجهر بالحق ويتحدى الإستبداد

السياسي والديني ويقول للظلم لا وللخطأ لا أياً كان قائله حاكماً، طاغيةً، مسؤولاً، قائداً، شيخاً، قديساً، عالماً .....

وستبقى النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الضمان الكبير واللاجم المجدي في المجتمع المسلم لكل إنحراف أو ظلم أو خطئ أو نهب أو تعدٍ أياً كان مصدره وعلى الأخص من الحاكم ولو كان صالحاً أو تقياً فصلاحه لنفسه، أما أمر الناس فيلزمه العدل والقسط ، ويعينه على القيام بهذا الواجب وجود من يراقبه ويقدم له النصيحة ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ولا خير فيه إن لم يسمعها ولاخير في الأمة إن لم تقلها، فإن لم يستجب فالوقوف الجماهيري على شكل مظاهرات سلمية تحمل الظالم على الرجوع عن الخطأ واجب شرعي في رأيي ،لأنها طريقه مستحدثه ليست في الدين بل هي من المصالح المرسلة للمسلمين، وإن مصلحة الأمة في التصحيح والتصويب دوماً وليست في ترك الظالم يتمادى في خطئه ، ولا بد أن يعلم الحكام المسلمون-- إن وجدوا-- أن وجودهم في الحكم لخدمة المسلمين وتحقيق مصالحهم والدفاع عنهم وإلا فسيكون التظاهر والخروج عليهم لإعادتهم إلى رشدهم وتصحيح مسارهم سلاحاً يشهر في وجوههم ،وهذا الخروج ليس فتنة وبلبلة في الأمة

كما يصوره ويتصوره البعض ، بل الظلم والإكراه والقهر والاضطهاد والاستبداد والاستئثار بالسلطة والمال والمغانم دون

الشعب ثم الرضى به والسكوت عنه والتبرير له هو الفتنة بعينها، بل هي أكبر الفتن

"... والفتنة أكبر من القتل..."

لأن هذه الأمور دفعت بكثير من المسلمين إما لترك هذا الدين أو لحمل صورة مشوهة عنه ، لأن مشايخه وعلماءه إلا من رحم وقفوا في صف الطغاة والمستبدين ومع الذين سرقوا أموال الأمة والذين والوا المشركين واليهود والنصارى ،فكان هذا الموقف فتنة للمؤمنين عن دينهم

فأي الموقفين إذاً هو الفتنة موقف المنكر بطريقته أم الموالي والمؤيد أو على الأقل ساكت ، حتى نقف في وجه الفتنة ونمنعها جميعاً

"....حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..."

الذي يقف في وجه الظالم ويقول من دون خوف وبكل جرأة لا ، أم الظالم نفسه ومن يسكت عنه ويبرر له

"فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون... وملئهم أن يفتنهم..."

الذي يطالب بحرية الرأي والكلمة ،أم الذي يضطهد ويخرس ويقتل ويسجن كل مخالف

"...إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا..."

الذي يطالب بموالاة المؤمنين والوقوف في صفهم ،أم الذي يوالي الكافرين ومن يقف في صفهم

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض" وفساد كبير "

الذي ينهى عن السوء ويطالب بالمساءلة والمحاسبة وعدم استئثار السلطة ورد أموال الأمة إلى الشعب ، أم الذي يضع نفسه فوق المساءلة ويستولي على السلطة و على الثروة التي يكدسها في بنوك أعداء الشعب ويحرم شعبه إلا من فتاتهما

قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا..." ... الذين ينهون عن السوء"

4 – في الوقت الذي يأمرنا رسول الله بطاعة ولي الأمر يأمرنا أيضاً بالخروج عليه وجهاده بكل الوسائل الممكنة إذا ظلم وكذب وقتل وقال مالم يفعل وفعل مالم يؤمر ومضى بأمر غير هذا الدين من نظمٍ أرضيةٍ رضيها لنفسها ولشعبه

(ما من نبيٍ بعثه الله قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)

وهذا نص صريح صحيح على جهاد الأمراء الذين يقولون أنهم مسلمون وليس في أفعالهم ما يدل على ذلك ،كما ليس في أفعالهم ما أمروا به ، بكل الوسائل المتاحة بما فيها التظاهر وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

وقد قال النبي (ص) لكعب بن عجره (أعاذك الله من إمارة السفهاء قال وما إمارة السفهاء ؟ قال أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهدي ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي)

كماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن خالطهم هلك)

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه سيلي أموركم بعدي رجال يُعَرِّفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله فلا تعتلوا بربكم)

وأخيراً وليس آخراً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون عليكم أمراء من بعدي يأمرونكم بمالا تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس أولئك عليكم بأئمة)

فلا بد من موقفٍ تجاه الظلم والكذب والمنكر من العلماء إبتداءً، ومن الشعوب من ورائهم فإن لم يفعلوا فستتجاوزهم الشعوب لتؤدي دورها الشرعي بعيداً عنهم، حتى تضمن هذه الشعوب أن تكون من أمة محمد (ص) وتستحق عندهاأن ترد عليه حوضه

كما قال رسول الله(أعجزتم إذا بعثتُ رجلاً فلم يمض لأمري أن تجعلوا مكانه من يمضي لأمري)

وقال أيضاً (ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً)

فالخروج على الحاكم عندها بالعصيان السلمي والمقاطعة الكاملة له ولنظامه هي بعض الوسائل الناجعه لتصحيح مساره، وقال

إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سَلِم ، ولكن من رضي وتابع ؟؟ قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال لا ما صلوا)

وقال (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا يارسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة .....)
وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه
(برهان

والجمع بين هذه الأحاديث التي تأمر من جهة بجهاد ولاة الأمر
والخروج عليهم بكل الوسائل الممكنة ، ومن جهة أخرى تأمر
بطاعة ولي الأمر مالم يأمر بمعصية ، وما أقام الصلاة ، وما لم
نرَ كفراً بواح

هو : أن الأمة لا بد أن تأخذ دورها دوماً في اختيار حاكمها ومراقبته
وتصحيح مساره ثم خلعه والخروج عليه إذا لزم ، لكن لا بد من
معرفة قبل ذلك :

هل نحن أمام حكام اهتماماتهم هي سياسة الناس وتسيير أمورهم
بالطريقة التي يريدون بدون ضابط شرعي ، ووفق المنهجِ الذي
يختارونه لشعبهم بدون مرجعية لله ورسوله ، ففي هذه الحاله لا
داعي لإسقاط الأدلة الشرعية عليهم والحديث عن طاعتهم لأنه
ليس الإسلام من اهتماماتهم وأولوياتهم ومرجعياتهم

أم نحن أمام حكام مؤمنين حقاً إختاروا الإسلام عقيدةً ومنهجاً للحياة
واختارهم شعبهم المسلم لتسيير دفة الحكم وفق شرع الله وأمر
رسوله (ص) ؟؟.

وفي رأيي واقعنا يشير إلى الحالة الأولى وأما الحالة الثانية فهي غير موجودة أو متوهم وجودها لعدم المعرفة وقلة العلم ، وبالتالي لا داعي للخلاف على طاعة ولي الأمر وذلك لعدم وجوده ،وهذا لا يعني أنه لا يوجد في الأمة مسلمون صالحون يحبون وينصرون الله ورسوله لكنهم في رأيي قلة ، لأن كثيراً من المسلمين اليوم الإسلام في حياتهم ثانوي أوهامشي أو جزئي أو تزييني أو تكميلي أو تبعيضي ، وليس أصيلاً يتدخل في كل شؤون حياتهم ، فهم بالتعبير القرآني

" **الذين جعلوا القرآن عضين** " وكذلك منهم مَن

" **ويقولون آمنا بالله والرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ،

وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ،

أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ،

إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون "

فليس الإسلام المثل الأعلى الذي يحيون ويموتون من أجله ، ويجاهدون أنفسهم للثبات عليه ، ويربون أولادهم عليه ، وليس

هو الهم الوحيد لحياتهم ،لذلك كان هؤلاء هم الذين يقبلون الظلم والذل والإستعباد وهم سواد الحكام المستبدين.

ونعود الآن إلى نقطة البداية لتكون محور التحرك ولا تتحول الوسائل إلى أهداف، وهي العزم والتصميم على حمل هذا الدين عقيدةً وسلوكاً وفق منهج ما كان عليه رسول الله وصحابته في كل شؤون الحياة، وتحميله للأجيال الصاعدة بعد تصفيته وإزالة ما ران عليه من خرافات وعادات وبدع وضلالات وتشوهات ليعود كما جاء من منبعه ،فلا يَصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وتربية الأجبال والشعوب على العزة والكرامة وعدم الخوف أو الرضى بالذل والظلم ، وعندها سينبثق من هؤلاء وباختيارهم حاكمهم المسلم الذي له حق الطاعة عليهم بالمعروف ، لذلك على المسلمين ألا يضيعوا الوقت ويفكروا ويتعبوا أنفسهم بالوصول إلى الحكم ، فالحكم هو نتيجة لتلك المقدمات وليس الحكم مقدمة لها .

والخلاصة في ولي الامر هي :

شعب يتبنى الإسلام + اختيار حر غير مزوّر وغير قسري + رجل منهم ولي الأمر للمسلمين يحكم وفق امر الله وأمر رسوله الصحيح .

فإن لم يتحقق الطرف الأول من المعادلة فليس هناك ولي أمر للمسلمين ولا داعي للبحث عن طاعته ولا داعي لجلب الأحكام

الفقهية لعلماء للمسلمين كانت صالحة لزمانهم حين كانت دولة للإسلام وكانت خلافه، فلكل مقامٍ مقال ، ونحن اليوم في حالة :

شعب بتوجهات مختلفة + فرد منه + إنتخابات حرة حاكم يحكم بالقانون ويطاع وفق الدستور المتفق عليه.

وأنا لست مع إقامة حكم مسلم يُفرَض الإسلام فيه بالقوة على الناس ، وعدم وجوده أولًى من وجوده لأن السلبيات التي تنشأ عنه أكبر بكثير من الإيجابيات المجنيه ، ومن أخطرها فتنة الناس عن دين الله ، لكني بالمقابل آمل وأسعى لإقامة حكم مسلم ينبثق من الشعب الذي هو يختار الإسلام عقيدةً ومنهجاً برغبةٍ جادة منه غير مفروض عليه.